الفصل الثانى

الفلسفة المثالية نشأتها وتطورها

الفلسفة المثالية – على العكس ما قد يتبادر إلى بعض الأذهان – ليست مثالية لأنها تستمسك بالمثل أو القيم العليا فى حين أن الفلسفات الأخرى تهدر هذه القيم ، لكن لكل فلسفة من الفلسفات تعريفاً لهذه المثل ؛ يختلف باختلاف نظرة الفيلسوف إليها ، ولم تسم هذه الفلسفة بهذا الاسم لأنها فلسفة عقلية تتجاهل العالم الحسى إذ أن من المعروف فى تاريخ الفلسفة أن الفيلسوف العقلى ليس هو بالضرورة الفيلسوف المثالى ، وأن الفيلسوف الحسى ليس هو بالضرورة الفيلسوف المادى ؛ فالفلاسفة الإنجليز مثلاً يغلب عليهم الطابع الحسى لكنهم مثاليون فى إتجاههم العام . ولكن ما هى الفلسفة المثالية كما يعرفها أهل الفلسفة ؟ وما هو تطورها التاريخى ؟ وما هى أهم سماتها ومعالمها الفلسفية ؟ وما هى خطوطها العريضة عند كل من أفلاطون وديكارت وباركلى وكانط وهيجل ؟ كل هذه التساؤلات وغيرها تحاول الدراسة أن تضع لها بعض الإجابات فى هذا الفصل من الدراسة .

فهذا الفصل يستهدف رصد أهم معالم الفلسفة المثالية وتطورها التـــــاريخى وتعريفها وأهم مباحثها الفلسفية وذلك من خلال المحاور الآتية :

أولاً : تعريف الفلسفة المثالية .

ثانياً : التطور التاريخى للمثالية :

١ – المثالية المفارقة عند أفلاطون .

٢ – المثالية الديكارتية .

٣ – المثالية اللامادية عند باركلى .

٤ – المثالية النقدية عند كانط .

٥ – المثالية المطلقة عند هيجل .

ثالثاً : أهم سمات المثالية المعاصرة .

أولا : تعريف الفلسفة المثالية :

الفلسفة المثالية هى تلك الفلسفة التى تبدأ من الذات إلـــى الوجـــود ، سواء كانت هذه الذات من الناحية العقلية أو الحســـية أو الحدســـية ، المهم أن نقطة البدء من الذات "[١].

والمثالية من الناحية المعرفية اتجاه يرى دعاته أن العقل أو الحـــدس مصدر المعرفة ، ومن الناحية الوجودية أن ماله وجود حقيقـــى هـــو التصورات والأفكار الموجودة فى الذهن " فالفكر هو الوجود الحقيقى وما عداه لا يكون حقيقيا إلا بقدر ما يستحيل إلى تصـــورات ذهنيـــة وأفكار " [٢].

وكلمة المثالية Idealism مشتقة من اللفظ Idea وهى تعنـــى الفكـــرة التى ينتجها العقل ، وهى مشتقة من اللفظ اليونانى Lδέα هى تعنى الشىء المرئى Something seen .

وتشير كلمة المثالية إلى التفسير الروحانى للوجود والإنسان ، فالواقع فى جوهره روح أو وعى قبل أن يكون مادة ، فهو نظـــرى قبـــل أن يكون حسيا . والمثالى المعاصر يرى أن الوجود الحقيقى هو وجـــود الأفكار والتصورات ، ولذلك يقول مور Moor :

---

[١] يحيى هويدى "دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة" ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨١ ، ص٢٢٠ .

[٢] عزمى إسلام "إتجاهات فى الفلسفة المعاصرة" ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، بدون تاريخ ، ص٣٩.

" والمثالية الحديثة تؤكد أن الكون ذو طبيعة روحية ، ومعنى أن الكون روحى أنه مختلف كل الإختلاف فى الواقع عما يبدو لنا ، وأنه ينطوى على عدد كبير من الصفات التى يبدو أنه لا يحوزها "[1]. والفكرة الأساسية للمثالية هى أن الوجود الحقيقى هو وجود الأفكار والتصورات ، وأن حقيقة الكون غير مادية ، والمثالية لا تنكر وجود الأشياء المادية ، ولكن تعتبرها ظواهر لواقع روحى ، وهكذا تنظر المثالية إلى العالم على أنه عالم الروح والفكر " فكل ما فى الكون يرجع إلى طبيعة روحية " [2] .

والمثالية بوجه عام إتجاه قوامه رد كل وجود إلى الفكر وإلى الروح ، وإذا كان حقيقة الوجود روحية وفكرية ؛ فلا يمكن إدراك الوجود إلا بالعقل أو الحدس . وهكذا تنظر المثالية إلى العالم على أنه عالم العقل والروح ، فالطبيعة الحقة للأشياء موجودة فى عالم المثل – عند أفلاطون – وهو ما يمكن التوصل إليه بالعقل . وما الأشياء المحسوسة المادية إلا ظواهر غير حقيقية للمثل .

كذلك ذهب باركلى إلى أن الأشياء المادية ما هى إلا أفكار فى عقل الإنسان ، وذهب هيجل Hegel إلى أن الأشياء المادية ما هى إلا ظواهر للمطلق أو الروح ." وشاع لفظ المثالى Ideal فى اللغة الجارية وصفاً للرجل الذى يؤمن بالروح والواجب ، والرجل الذى

---

(1) G . E . Moor , "Philosophical Studies" London , Harper, Co. 1961. P.2.

(2) I bid . P.2.

تكون له مثله العليا ويريد أن يحيا من أجلها ، ولكن المثالية بـــالمعنى الفلسفى الخاص عبارة عن القول بأن حقيقة العالم الخارجى هى كونه مدركاً فى الأذهان " [1]. وأن الواقع فى جوهره روح أو وعى قبل أن يكون مادة محسوسة ، فهو نظرى قبل أن يكون حسياً .

ويوجد شكلان رئيسيان للمثالية :

الأول : المثالية الميتافيزيقية وهى التى تؤكد علـــى أن مالـــه وجـــود حقيقى هو الأفكار والتصـــورات ، وبذلـــك تقـــابل المثاليـــة الميتافيزيقية الفلسفة المادية .

الثانى : المثالية المعرفية وهى تؤكد على أن العمليات المعرفية عقلية بالدرجة الأولى ، وأن المعرفة تبدأ من الفكر ، وليـــس مـــن الواقع الخارجى " [2] .

وتهدف المثالية المعاصرة إلى التوحيد بين الإنسان وواقعه الروحـــى الذى ينتسب إليه ، وهى تحاول أن تخلق إرتباطاً وثيقاً بين الإنســـان والطبيعة ، وقد تطورت الفلسفة المثالية عبر التاريخ فهناك المثاليـــة المفارقة عند أفلاطون ، والمثالية الديكارتية ، والمثاليـــة اللامادية ، والمثالية النقدية ، والمثالية المطلقة ، والمثالية المعاصرة .

---

[1] عثمان أمين " محاولات فلسفية " القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧ ، الطبعة الثانية ، ص ٢٥٨.

[2] عزمى إسلام " إتجاهات فى الفلسفة المعاصرة " ، مرجع سابق ، ص٣٩.

ورغم أن المثاليين لهم إطار عام واحد إلا أن لكل منهم خصائصه وسماته الخاصة التى تميزه عن غيره من الفلاسفة والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ما هو التطور التاريخى للفلسفة المثالية ؟

ثانيا : التطور التاريخى للفلسفة المثالية :

١ – المثالية المفارقة عند أفلاطون (٤٢٨ – ٣٤٨ ق . م)

المثالية المفارقة عند أفلاطون Plato هى تلك المثالية التى تجعل الحقيقة فى عالم مفارق هو عالم المثل ، حيث قسم أفلاطون الوجود إلى عالمين هما عالم المحسوس وعالم المثل .

وعالم المثل هو عالم الحقيقة الثابتة ، أما عالم الظواهر المحسوسة هو عالم الوهم والخيال ، ولذلك فهى مثالية مفارقة تجعل الحقيقة فى عالم مفارق هو عالم المثل ، والحقيقة المطلقة هى حقيقة الروح ، والعقل وحده القادر على الوصول إلى تلك الحقيقة ، وهذه المثل المفارقة لها وجود خاص مستقل يصفه أفلاطون Plato بأنه العالم الذى يفوق السماء ، وهو عالم الثبات والوحدة فى حين أن عالم المحسوسات هو عالم التغير والكثرة " ويستخدم أفلاطون تشبيهاً مشهوراً ، وهو تشبيه الكهف المظلم الذى فيه عامة الناس مقيدون منذ طفولتهم بأغلال داخل هذا الكهف ولا يستطيع الناس أن يروا إلا ظلال ما يمر خارج الكهف من موجودات حية ومصنوعات " [١] وهذه الظلال هى العالم

---

[١] أميرة حلمى مطر " الفلسفة عند اليونان " القاهرة ، دار النهضة العربية ، د.ت. ، ص١٧٤ .

الحسى المرئى الذى تظنه العامة عالم الحقيقة ، ومـــا هـــو إلا عـــالم الظلال والأشباح ، أما العالم الخارجى الذى تغمره الشمس بضيائـــها فهو عالم الحقائق العقلية أو عالم المثل الذى يحتل مثال الخـــير فيـــه مكانة الشمس فى العالم المرئى ، فهو علة الخير والجمال فـــى كـــل شىء ويتناول أفلاطون Plato نظريته فى المعرفـــة فـــى محـــاورات عديـــدة فيذهب إلى أن المعرفة الحسية غير صادقة ، ونقطة البدايـــة فى المعرفة عنده تتلخص فى الشك فى العالم الحسى ، فـــهو لا يبـــدأ بإثبات وجود المثل ، ولكن يبدأ بإثارة الشك فى العالم الحسى حيث أنه عالم الزيف والخداع، والمعرفة التى تتناول العالم الحسى هى معرفة ظنية، وأما المعرفة التى تتناول عالم المثل فهى معرفة عقلية يقينية .

ويعرض أفلاطون نظريته فى التذكر ، فيذهب إلى أن النفس الإنسانية كانت فى عالم المثل ، حيث كان لها وجود سابق على هذه الحيـــاة ، وقد عرفت كل شىء منذ القدم حينما كانت فى عالم المثل ، ويمكنـــها تذكر ما قد عرفته من قبل وهى فى عالم المثل " و يشرح أفلاطـــون التذكر فى محاورة فيدون فيفسر كيـــف ينتبـــه العقـــل عنـــد رؤيتـــه للمحسوسات فيتعرف على حقيقتها التى سبق للنفـــس أن رأتـــها فـــى حياتها السابقة .

ويذهب إلى أننا حين نرى شيئين متساويين فى الواقـــع فإننـــا نحكـــم عليهما بالتساوى لمعرفتنا السابقة بحقيقة المساواة " [1] .

---

[1] المرجع السابق ، ص١٨٦ .

والقيم أيضاً ترتبط بنظرية المثل عند أفلاطـــون ، فـــالحق والخـــير والجمال لهم وجود حقيقى فى عالم المثل ، والذى نراه فـــى الأشيـــاء المحسوسة من جمال ما هو إلا صور جزئية لحقيقة الجمال فى عـــالم المثل . وما نراه من خير فى أفعال الناس ما هو إلا صـــور جزئيـــة لحقيقة الخير الموجود فى عالم المثل وكذلك الحق الـــذى نـــراه فـــى الأقوال له وجود مستقل فى عالم المثل بعيداً عن الذات الإنسانية .

القيم عند أفلاطون مطلقة وخالدة وموضوعية " بل يمكـــن القـــول أن أفلاطون كان أعظم المدافعين – فى العالم القديم – عـــن موضوعيـــة القيم ، أى عن الرأى القائل أن أحكام الناس عما هو خير أو شـــر ، وصواب أو خطأ ، وجميل أو قبيح ، ينبغـــى ألا تخضـــع لمقـــاييس متغيرة مثل أذواقهم الفرديـــة ، أو تجاربـــهم الذاتيـــة ، أو آرائـــهم الشخصية ، وإنما الواجب أن تكون المقاييس التى تخضع لـــها هـــذه الأحكام ذات طابع أشمل ، لا يخضع للتغير أو التطور ، ولا يعترف بالكثرة أو الإختلاف " [1] .

القيم إذن مطلقة وعامة وكلية وترتبط بعالم المثل ، كما ترتبط المعرفة بعالم المثل ، وعالم المثل مفارق لهذا العالم المحسوس ولـــذا أطلـــق على فلسفته المثالية المفارقة . ولقد تطور مفهوم المثالية فى العصور الوسطى فقد أصبح أن يتم النظر إلى الأفكار أو الصـــور بإعتبارهـــا نماذج ، خلق الله الأشياء على غرارها ، فقد كـــان مـــن المعتقـــد أن الأشياء أفكار موجودة فى العقل الإلهى وهنا نجد نقطة تلاقـــى بيـــن

---

[1] فؤا د زكريا " جمهورية أفلاطون " القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، بدون طبعة ، ١٩٨٥ ، ص١٢١ .

المثالية المفارقة عند أفلاطون ، والمثالية فى العصور الوسطى حيث أن كلاهما يقر بوجود الثنائية فى الوجود وفى الإنسان على حد سواء، وكما أقرت المثالية فى العصور الوسطى بأن الصورة منفصلة عن المادة والروح مستقلة عن الجسد ، وترتب على ذلك خلود النفس الإنسانية ثم بعد ذلك أخذت المثالية شكلا آخرا عند ديكارت كما سيتضح ذلك فى النقطة التالية .

٢ - المثالية الديكارتية (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) :

تبدأ المثالية الديكارتية بالشك ، ولم تكن فكرة الشك فكرة جديدة فى الفلسفة ، فقد كان هناك فلاسفة يدعون إلى الشك قبل ديكارت Descartes ، وهم الشكاك اليونان الذين عاشوا فى القرن الثانى والثالث الميلادى ، وقد شكوا فى قيمة العقل نفسه ، وفى الحقيقة ذاتها كما شكوا فى الحواس ، وكان الشك هو مذهبهم أى مبدأهم وغايتهم التى لا يحيدون عنها ، ولذلك سمى الشك عندهم باسم الشك المذهبى، وهو شك يهدم كل دعوة إلى إقامة العلم والمعرفة ، فهو شك من أجل الشك نفسه . ولكن الشك عند ديكارت Descartes منهجى يستخدمه كوسيلة من أجل الوصول إلى الحقيقة التى لا يمكن أن يتطرق إليها الشك ، أى أنه هو الشك الذى يسعى إلى اليقين لذلك أطلق عليه :

" الشك المنهجى " [١] ، وهو شك إرادى يفرضه الإنسان بإرادته على نفسه ، وهو شك مؤقت لا شك دائم ومستمر .

---

[١] عثمان أمين " ديكارت " القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦ ، ص١١٨.

أ – الشك فى الحواس والخيال :

يذهب ديكارت إلى أن الحواس تخدعنا ، ومن الحذر أن لا نأمن لمن خدعنا ولو مرة واحدة ، فالمربع يبدو دائرة عن بعد ، والعصا تبدو مكسورة فى الماء والحواس إذن تخدع الإنسان ، ويتساءل ديكارت "لماذا لا تكون تصوراتنا أثناء اليقظة مثل الأحلام التى نراها فى النوم " [١] .

ب – الشك فى الذاكرة والعقل :

العقل نفسه يقع فى الخطأ فى أبسط المسائل الحسابية والهندسية ، وهذا الخطأ ناشىء من غفلة العقل ، أو من الشيطان الماكر ، كما يقول ديكارت .

ولذلك شك ديكارت فى الحواس والعقل والذاكرة ولكن ما السبيل إلى الوصول إلى اليقين ؟

يقول ديكارت " إنه مهما بلغ بى الشك مبلغا ، مهما كانت الحواس والعقل والذاكرة والشيطان الماكر يخدعنا فإنه لا يمكن أن يجعلونى أشك فى أننى ذات مفكرة وأن يجعلنى عدما طالما أننى أفكر و"ديكارت Descartes يرى أنه إذا شك فى كل شىء إلا أنه لا يستطيع أن يشك فى حقيقة واحدة ألا وهى أنه يشك ، ولما كان الشك لونا من ألوان التفكير ، فأنا أفكر إذن أنا موجود ، كما قال ديكارت " فكونى أشك يفيد أنى أفكر ، وكونى أفكر يفيد ثبوت أنيتى " [٢] .

---

[١] ديكارت " التأملات " القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ ، ص ٧٣.

[٢] عثمان أمين " ديكارت " مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

وهكذا يتضح لديكارت الحقيقة الأولى واليقين الأول وهو إثبات وجود النفس إثباتا يقينيا لا يتطرق إليه الشك . وبعد أن أثبت ديكارت اليقين الأول وهو الوجود الإنسانى برهن على اليقين الثانى وهو وجـــود الله فذهب ديكارت إلى أن الكائن الذى يشك هو كائن ناقص ، والناقص لا يعرف إلا فى مقابل الكامل " وفكرة الكمال فكرة فطرية موجودة فـــى النفس الإنسانية " (١) ، والكائن الناقص لا يمكن أن يعرف بطبيعتـــه إلا النقص ، فمن الذى أودع فكرة الكمال فى النفس الإنسانية ؟

إذن لابد أن الذى أودعها فينا كائن كامل ، وليس ناقصـــا ، وهـــو الله تعالى ، والله هو خالق الأفكار الفطرية فينـــا ، ومـــن أهـــم صفاتـــه الكمال.. والكامل يجب أن يكون واحدا ، لأن الناقص يحتاج إلى غيره إذن الله كامل ، وعلة لذاته ، وهو أزلى أبدى .

إذن توصل ديكارت إلى مبدأين فى نظامه الفلسفى ، إثبـــات وجـــود النفس ووجود الله ، ثم أثبت اليقين الثالث وهو وجود الأشياء ويترتب على ذلك " أن الفكر سابق الوجود " ، إذن ديكـــارت مـــن الذاهبيـــن مذهب المثالية " (٢) .

٣ - المثالية اللامادية عند باركلى (١٦٨٥ - ١٧٥٣م) :

يوصف باركلى Barkley عادة بأنه من المثاليين المنكريـــن لوجـــود العالم الخارجى ؛ عالم المادة والأجسام ، وأن الوجود الصحيـــح هـــو

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٢) Ozmon and Samuel "Philosophical Foundution of Education" London,Merrill,P.B Comp, 1976,P.90.

وجود الأشياء فى الأذهان فالأشياء عند بـــاركلى "لا تتمتـــع بوجـــود حقيقى دائم إلا من حيث أنها قائمة فى عقل الله أو العقل اللامتناهى" (١) .

ويعرض باركلى Barkley مثاليته اللاماديـــة فيقـــول " إن الفلاســـفة يذهبون إلى وجود جوهر مادى خارج عقولنا ، فالمكتب هذا الجوهر المادى وعاء يحوى الصفات الطبيعية المختلفة من إمتداد وشكل ولون وطعم ورائحة ... إلى غير ذلك من الصفات التى نصف بها الشـــىء المادى ، هذه الصفات كلها لا وجود لها إلا فى عقلى، لأنها ليست فى نهاية الأمر إلا أفكارى أنا عن الشىء المادى " وبالتالى فهى مثالية لا مادية تنكر وجود فكرة الجوهر المادى ، هكذا كانت اللاماديـــة عنـــد باركلى مثالية ذاتية متطرفة تنكر وجود الجوهر المادى ، أو كما قال باركلى Barkley نفسه : " لا وجود لما يسمى بالجوهر المادى فـــى هذا العالم " (٢) .

ومن هنا كانت ثورته على المادية وأهلها ، وذلك لأنه رجـــل ديـــن " فشت فى عصره الإباحة وإستفحل تمرد الناس على الديـــن . ولذلـــك أثبت عالم العقول والأرواح ، وأنكر عـــالم المحسوســـات ، إبتغـــاء القضاء على الإباحة ، وتقويض المادية الفاشية فى عصره " (٣) .

وفى كتابه المحاورات الثلاثة ، يتناول فى المحاورة الأولى بحث فى إرجاع جميع صفات المادة المحسوسة إلى الـــذات ، وفـــى حصـــر

---

(١) باركلى " المحاورات الثلاثة " ترجمة يحيى هويدى ،القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ ص١١.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٩ .

(٣) توفيق الطويل " أسس الفلسفة " القاهرة ، دار النهضة العربية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٧ ، ص٢٥١ ، ٢٥٣ .

وجودها المادى فى مجرد وجودها المدرك بالحواس ، وبالتالى فهى بحث فى إلغاء وجودها الخارجى المستقل عن الذات [١] .

" فالحرارة والبرودة والأصوات والألوان ليس لها وجود فى الأشياء المحسوسة بل فينا ، فى إحساساتنا الذاتية ويخلص باركلى Barkley من هذا كله إلى أنه لا وجود للجوهر المادى وأن الصفات المحسوسة هى وحدها الموجودة من حيث أنها صفات معتمدة على العقل " [٢] .

وفى المحاورة الثانية بحث فى البرهنة المباشرة على وجود الله وفى البرهنة على أنه العلة الوحيدة لجميع الصور ، " وفى المحاورة الثالثة يتناول العلاقة بين العقل المتناهى والعقل اللامتناهى ، وهو فى هذا يدافع عن مذهبه اللامادى " [٣] . الذى يرى أن العالم الخارجى مجرد أفكار تقوم فى العقل ، إذ لا وجود عنده لغير العقول وما يجرى فيها من خواطر ، ويدور بها من أفكار " والرأى عنده أن الموجود هو المدرك esse est percipi والمدرك معنى ، وليست الأجسام إلا تصورات الروح ، ومن ثم كانت المادة مجرد فكرة " [٤] . ومن هنا يرى باركلى أن الأشياء المادية هى عبارة عن إحساسات ، والإحساسات هى أفكار توجد فى العقل فقط " وينتج عن ذلك أن ما نراه مجرد فكرة موجودة فى العقل " [٥]، وهى تختلف عن المثالية عند هيجل Hegel بإعتبار أن مثالية هيجل مطلقة كما سيتم توضيحها

---

(١) William P. Alston "The Problems of Philosophy" London , Library of Congress , Co, 1976 . P . 700

(٢) باركلى " المحاورات الثلاثة " مرجع سابق ، ص١٥ .

(٣) المرجع السابق ص١٦ .

(٤) توفيق الطويل " أسس الفلسفة " مرجع سابق ، ص٢٥٢ .

(٥) David Steiwart Fundamentals of Philosophy" New York . Macmillan Publishing , Co, 1927. P.163.

بعد ، ولكن عند باركلى مثالية ذاتية وفى نفس الوقت لامادية ، تـــرى أن وجود الشىء هو إدراكه ، وأن الأشياء ليس لها وجود مستقل عن إدراكها ، فالشجرة يستمر وجودها حتى بعد أن نغلق أعيننا " وذلك أن الله يستمر فى إدراكها ، فالأشياء إن لم أدركها أنـــا ، فإنـــه يدركـــها الأخرون وإن لم يدركها الأخرون فإن الله هو الـــذى يدركـــها "[١]. وبذلك ترتبط المعرفة عند باركلى Barkley بالوجود ، فوجود الشىء إدراكه .

٤ - المثالية النقدية عند كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) :

المثالية النقدية عند كانط Kant لا تعنى نقد الكتب والمؤلفـــات ، ولا نقد الألفاظ والعبارات ، بل تعنى ضرورة وضع حـــدود للعقـــل فـــى مجال المعرفة والعلم والفلسفة ، تكون نقدية فى مذهبـــها إذا جعلـــت هدفها الأساسى تحليل الأفكار لإستخراج الأصول المنطقيـــة الكامنـــة ورائها والتى لولاها ما إستطعنا أن نكون تلك الأفكار .

وجد كانط Kant الفلسفة تتطاحن وتتضارب مذاهبها فى حين أن العلم يتقدم ؛ فتساءل كانط : لماذا يتقدم العلم وتتطاحن الفلسفة ؟ فوجـــد أن العلم يبحث فى ظواهر الأشياء المحسوسة ، أما الفلسفة فهى تبحـــث فى حقيقة الأشياء ، فموضوع الفلسفة هو الميتافيزيقا التى تـــدرس - الله - النفس - حرية الإرادة ، والعقـــل حينمـــا يبحـــث فـــى هـــذه

---

(١) Bertrand Russall"The Problems of Philosophy" New York,Oxford university press,Co.,1986, P.20.

الميتافيزيقا التقليدية فإنه يستطيع إثبات القضية ونقيضها ، فيثبت خلود النفس وعدم خلودها ، فالعقل إذن حينما يبحث فى المسائل الميتافيزيقية يستطيع أن يثبت القضية ونقيضها ، ولذلك يقسم كانط الأشياء إلى قسمين : الشىء لذاته - الظواهر - وهو موضوع المعرفة من خلال الحواس والذهن . أما القسم الثانى الشىء فى ذاته ورغم أنه وجود حقيقى إلا أن الإنسان عاجز عن الوصول إليه ، وإذا حاول العقل أن يخوض فى هذا العالم - الشىء فى ذاته - فإنه حتما يقع فى متناقضات ، ولذلك يجب على العقل أن يتخلى عن هذا العالم - الشىء فى ذاته - ولا يعنى ذلك أن كانط ينكر الميتافيزيقا ، ولكنه يؤكد على أن العقل يجب أن نضع له حدودا لا يتعداها ، وبالتالى فالمثالية النقدية هى نقد للعقل ذاته ، ووضع حدود له ، ولذلك أودع كانط Kant مثاليته فى كتابين له الأول نقد العقل الخالص والثانى نقد العقل العملى .

فيقول كانط Kant فى كتاب نقد العقل الخالص :

" كتب على العقل البشرى أن يتحمل هذا القدر العجيب من معارفه ، فهو مثقل بأسئلة ولا يستطيع أن يصرف النظر عنها ، لأنها مفروضة عليه بحكم طبيعته نفسها ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يستطيع الإجابة عنها ؛ لأنها تجاوز كل ما يملك من قدرات " [١] ، وإذا خاض العقل

---

(١) كانط " المدخل إلى نقد العقل الخالص " ترجمة عبد الغفار مكاوى ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ص١.

البشرى فى هذه الموضوعات الميتافيزيقية " فهو يتردى فى مـــهاوى الظلام والمتناقضات " [١] ، فيستطيع العقل أن يبرهن على الشـــىء ونقيضه " وميدان الصراع الذى تدور فيه هذه المنازعـــات التـــى لا نهاية لها يسمى الميتافيزيقا " [٢] ، ولذلك فالمثالية النقدية تضع حدوداً للعقل حتى لا يقع فى متناقضات ، فهى نقد للعقل لنفسه ، ثم أخـــذت المثالية شكلاً آخراً عند هيجل وهذا ما سيتضح فى النقطة التالية .

٥ – المثالية المطلقة عند هيجل (١٧٧٠ – ١٨٣١) :

تذهب المثالية المطلقة إلى وجود عقل مطلق أو إلهى ، هـــذا العقـــل الإلهى هو الوجود الحقيقى ، وهو كامن فى الطبيعة وبـــاطن فيـــها ، والطبيعة خاضعة فى حركاتها وتطورها لهذا المطلق – الذى تختلـــط حركته بحركاتها حيث تصبح حركة الظواهر الطبيعية مجرد مظـــهر لحركة المطلق وتطوره ، وصراع هذه الظواهر الطبيعية وتطورهـــا خاضع لوجود المطلق فهو مصدرها ، وهو الذى يسيرها إلى غايـــة عليا .فالمطلق يمثل الوجود الواقعى كله ، والطبيعـــة مظـــهر لـــهذا المطلق .

فهيجل Hegel يتفق مع شلنج وفختى فى وحدة الوجود وأن المطلـــق هو الوجود الواقعى بما فيه من روح لا متناه أو عقل كلـــى أو مبـــدأ

---

[١] المرجع السابق ، ص١ .

[٢] المرجع السابق ، ص٢ .

خالق منظم ، وأن الطبيعة والفكر مظهران من مظاهر هذا المطلق [١] .

وينظر إلى الإنسان على أنه روح فى جوهره لا جسد ، وصفات الروح لا تتحقق إلا عن طريق الحرية ، " فالمادة وحدها من دون الروح لا معنى لها ، وينبغى للإنسانية أن تنهض لتتخلص عن طريق عمل الروح من إستعباد الحرية الطبيعية لها وتسمو إلى الحرية الحقيقية ، وذلك بأن ترتفع من العالم المادى الحسى المحدود إلى عالم الكليات العامة المطلقة " [٢] .

فماهية الإنسان هى الروح ، أى شعور ، وحرية ولكن الشعور والحرية على درجات ثلاث ففى الدرجة السفلى الروح مقارن للجسم ينمو وينضج ، ويشيخ معه ، وهذه هى جسمية الروح ، ثم يظهر الشعور الواضح فيدرك الإنسان ذاته ويدرك الأشياء ، وهذان إدراكان متعارضان يوفق بينهما الفهم الذى وظيفته إدراج الإحساس تحت قوانينه الأولية وجعل مدركات الشعور موضوعية ، ووضع الحقيقة على ما بين كانط ، وفوق جسمية الروح والشعور الواضح المعين بالفهم نجد العقل الذى يؤلف بينهما إذ يجعل من قوانين الشعور قوانين الحياة .

ولذلك " فإن النظر ينقلب عمليا حين يتخذ الروح ذاته موضوعا لإرادته ، كما قال كانط ، فيتفق النظر والعمل ، فالروح الذاتى حين يقر بالحقيقة والقانون يقر بسمو الروح الموضوعى ويقدمه على نفسه " [٣] .

---

[١] يوسف كرم " تاريخ الفلسفة الحديثة " القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ ، ص ٢٧٠ .

(٢) ماك كالستر "نشأة الحرية" ترجمة أمين مرسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ١٢١.

[٣] يوسف كرم " تاريخ الفلسفة الحديثة " مرجع سابق ، ص ٤٨٠ .

ولقد أثر منهج هيجل Hegel الجدلى على تفسيره لطبيعة الإنسان

والمنهج الجدلى عند هيجل له ثلاث حالات :

(١) حالة وضعية إيجابية (الشىء) .

(٢) حالة تعارض سلبية (نقيضة) .

(٣) حالة تؤلف بينهما (التركيب أو التأليف) .

لذلك النفس عنده تقع فى ثلاث حالات :

(١) النفس الطبيعية [حيوانية ، خارجية ، سلبية] .

(٢) النفس الشاعرة [حساسة ، داخلية ، إيجابية] .

(٣) النفس المتحققة بالفعل [تجمع الداخل والخارج وهى النفس الحقيقية المركبة] .

والنفس الطبيعية تعتبر جزءاً من الجسد الحيوانى أكثر مما تعتبر جزءاً من النفس ، والبيئة التى تعيش فيها هى التى تشكلها ، أما النفس الشاعرة فأهم ما يميزها الإحساس وهى إيجابية وداخلية ، وأما النفس المتحققة بالفعل فهى تجمع الإحساسات الداخلية والقوى الخارجية .

وبعد هذا العرض الموجز للتطور التاريخى للفلسفة المثالية ، فإنه قد إتضح أن المثالية قد أخذت أشكالا مختلفة عند الفلاسفة ، أو كما يقول رسل " لقد أستخدمت المثالية بواسطة العديد من الفلاسفة بمفاهيم مختلفة ، ولكنها هى المذهب المبنى على أن الوجود الحقيقى هو

الوجود العقلى " [1]، فالمثالية هى تلك الفلسفة التى تبدأ من الذات إلى الوجود سواء كانت الذات عاقلة أو حاسة أو حدسية المهم أن نقطة البدأ من الذات ، وأن الوجود الحقيقى هو وجود التصورات والأفكار وأن طبيعة الوجود روحية . ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو ما أهم سمات الفلسفة المثالية المعاصرة ؟

ثالثاً : أهم سمات المثالية المعاصرة

المثالية المعاصرة هى امتداد للمثالية الحديثة خاصة مثالية كانط وهيجل ، بل يمكن القول أن المثالية المعاصرة تنقسم إلى مدرستين : الأولى المدرسة الكانطية الجديدة New Kantianism وهى تمثل العودة إلى فلسفة كانط المثالية ، والمدرسة الثانية الفلسفة الهيجلية الجديدة New Hegelianism وهى تمثل العودة إلى فلسفة هيجل Hegel وإنتشرت فى إيطاليا عند كروتشه وجنتيل [2] .

والمثالية المعاصرة لم تكن تابعة كل المتابعة للمثالية الحديثة ولكن فطنت إلى نقاط الضعف ، وإلى الانتقادات التى وجهت إلى المثالية الحديثة من جهة الواقعيين ، فأضافت وعدلت ، وأبعدت وغيرت من المثالية الحديثة ، فجاءت وإرتدت ثوباً جديداً من خيوط حديثة ، ومن هنا يمكن القول أن المثالية المعاصرة إن كانت امتدادا للمثالية الحديثة فهى أيضاً لها خصائصها التى تميزها عن سائر المثاليات الأخرى .

---

(1) Bertrand Russlle " The Problem of Philosophy " New york , oxford universtiy Press 1986 , P.19.

(2) عزمى إسلام " إتجاهات فى الفلسفة المعاصرة " مرجع سابق ، ص٤٨ .

(١) إتفق خصوم المثالية من الفلاسفة على القول بأن المثاليـــة مـــن وحى الخيال بمعنى أنها تعبير عن وهم مقطوع الصلة بعالم الواقع[١].

وتهدف المثالية المعاصرة إلى أن التوحد بين الإنسان وبين واقعه الروحى الذى ينتسب إليه وهى تعلمه أن يصقل الروح باعتبارها جزءا من كيانه يرتبط أكثر ما يرتبط بهذا الواقع ، وهى تحـــاول أن تخلق ارتباطا وثيقا بين الإنسان والطبيعة " [٢] .

(٢) إن عصرنا هو عصر العلم وحتى تكفل المثالية لنفسها البقاء كان لابد من أن تلائم بين نفسها وبين التفكير العلمى وقـــد تحمـــس برنشفك لخصوبـــة العقـــل البشـــرى خصوصـــا أن برنشفـــك Brunschvicg قد أظهر إيمانا كبيرا بقيمة العلم كأجلى مظـــهر من مظاهر الإبداع البشرى .

(٣) ويرى أندريه لالاند Lalande أن المثالية الحديثة كانت متشـــددة وخاصة مثالية كانط Kant التى نظرت إلى الإنسان علـــى أنـــه عقل وإستبعدت العواطف والميول ، ولكن المثاليـــة المعـــاصرة صورت المثل الأعلى فى صورة تحقيق للذات العاقلة بحيـــث لا يحارب الجانب الحاس ولا يغالى فى تقدير الجانب العاقل علـــى حساب الجانب الجسمى ، وأصبحت تنظر إلى الإنسان على أنـــه روح وعقل وجســـم ، فالنظر إلى الجسم على أنه مبدأ كل شـــر قد تغيرت فى المثالية المعاصرة .

---

(١) توفيق الطويل " فلسفة الأخلاق " القاهرة ، النهضة العربية ، الطبعة الثالثة (١٩٧٦) ، ص١٧٣.

(٢) محمد منير مرسى "فلسفة التربية" القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٣.

(٤) إعطاء أفضلية للعلم الطبيعى الذى هو بالاضافة إلـــى الرياضيـات البحتة الصورية يعتبر العلم الأفضل أو العلم بمعناه الحقيقى فـــالعلم الطبيعى يقدم لنا أفضل صورة للمعرفة ، ومع ذلك فإن الفكر يعمـل وفقا لمقولات كامنة فيه ، ومن ثم فالفكر محدد عنده قبليا بواســطة تلك المقولات .

(٥) القول بالمطلق Absolute فى مقابل ما هو نسبى ، من أهم ســمات المثالية المعاصرة وخاصة عند كروتشه Croce وبرادلـــى Bradley وبوزانكويت Bosanquet .

وقد ذهبت المثالية المعاصرة إلى أن هناك توترا دائما بيـن المطلـق وبين النسبى هذا التوتر يقوم بين الأفراد وبيـن المطلـق أمـا عنـد كروتشه Croce وجنتيل Gentile فالتوتر ينشأ بين ما هو تـــاريخى وبين المطلق " [١] .

(٦) تذهب المثالية المعاصرة إلى تقدم الفكـر علـى الإدراك الحســى ، وهكذا تجعل التقدم للمطلق على ما هو نسبى ، والفكر عند الفلاســفة المثاليين هو أساس فلسفتهم ، فالفكر يحتوى على كل شـــىء ولذلـك فالحقيقة الواقعية Reality عندهم هى الفكر ، وبالتالى فالحقيقة ليست شيئا خارجا عن الفكر ، طالما إنها محتواه فيه ، ولذا كـــان الســؤال الرئيسى عندهم كيف يكون الفكر واعيا بذاته وعيا كاملا ؟ والفلســفة المثالية المعاصرة ، فلسفة واحدية Monistis ومن ثم فهى لا تعترف إلا بحقيقة واقعية واحدة هى الفكر وهى تفسر الكثرة والتعدد على أنها

---

[١] عزمى إسلام " إتجاهات فى الفلسفة المعاصرة " مرجع سابق ، ص ٥٧ .

مجرد مظهر فقط ، أما الوحدة فهى الحقيقة ، وقد استعار برادلى Bradley هذا المعنى وجعله إسما لأهم كتبه " المظهر والحقيقة " .

والفكر يرى من خلال مظهر الكثرة والتعدد ، حقيقة الوحدة ، ويكشف عنها ومع هذا ، فإن ذلك لا يتسنى إلا إذا كان الفكر من حيث المبدأ موجودا بالفعل من البداية فى كماله ، وهو الفكر المطلق الذى يكون كل فكر شخص قبسا أو جزءا منه [١] .

(٧) الفلسفة المثالية المعاصرة لعبت دورا هاما فى إعادة اكتشاف العقل ، لقد إكتشفت العقل فى العالم ، وفى ممارسة العلم إلا أنها مع ذلك لم تتصرف إلى محاولة الاجابة عن السؤال الخاص بكيف يكون للعقل فعل فى المعرفة ، وإن كانت قد حاولت التغلب على التناقض أو التقابل الظاهرى بين العارف والمعروف على أساس أن ما هو معروف يكون محتوى فى فكر العارف " [٢] .

(٨) تنظر المثالية المعاصرة إلى الإنسان على أنه كائن روحى والمطلق وحده هو الحقيقى ، ولذا فالإنسان لا يكون فيه من الحقيقة إلا بقدر مشاركته فى المطلق ، ومن ثم فإن على الإنسان أن يناضل لكى يعلو على نفسه ،وذلك بتدريبها للعلو على ذاتها ، والإنسان ككائن روحى يعبر عن ذاته بأشكال مختلفة من الأخلاق والفنون والثقافة والآداب والعلوم ، كما أنه قادر على إستخدام عقله لتسخير بيئته للوفاء بحاجاته ومطالبه ، وبالتالى تنظر المثالية على أن الأخلاق والفنون والآداب والعلوم هى من صنع عقل وروح الإنسان وانعكس ذلك على تربية

---

(١) Deifgaauw"Twentieth Century Philosophy" London, Merrill,CO,P 51

(٢) عزمى إسلام " إتجاهات فى الفلسفة المعاصرة " مرجع سابق ، ص ٥٩ .

الإنسان طفلا ورجلا فيجب أن يتعلم الطفل احترام القيم الإنسانية الروحية والنظر إلى التلميذ على أنه كائن روحى وهكذا يجب أن يهدف التعليم إلى تنمية عقل وروح التلميذ وعلى المدرسة أن تؤكد على الأنشطة العقلية والأحكام الخلقية والجمالية ، وبالتالى يركز الفيلسوف المثالى على تهذيب الروح ، حتى فى بعض الأحيان نجد الفيلسوف المثالى قد أقترب من المربى المتصوف فى محاولة سيطرة العقل على الأهواء والميول والنوازع الجسمية ، ولكن كلا منهما يختلف عن الأخر كل الاختلاف فالمثالى يعتقد أن العقل مصدر المعرفة الوحيد الصحيح ، والحدس عند بعض المثاليين ولكن المتصوف يعتقد أن القلب مصدر المعرفة وما سواه معرفة غير صادقة . فالمثالى عقلانى والمتصوف وجدانى .

(٩) القيم العليا لها مكانة سامية والممارسات التربوية يجب أن تعكس وتؤكد القيم ولذلك يجب أن يشمل المنهج الدراسى القيم السامية التى تساعد الفرد على النمو الخلقى ، ومن هنا تهتم الفلسفة المثالية بالتربية الخلقية للفرد إهتماما كبيرا لا ينافسها فى ذلك منافس ، فتربية الطفل تقوم على تعليمه قيما دائمة تجعله فى إنسجام مع الكل الروحى الذى ينتمى إليه ، وعلى المدرسة أن تقوم على مبادىء راسخة ثابتة من هذه القيم ، ويرتكز المنهج الدراسى على الطبيعة الروحية للإنسان فيشمل العلوم والآداب والدراسات الإنسانية التى تساعد الفرد على النمو العقلى والخلقى ، كما تساعده على فهم ومعرفة بيئته المادية والسيطرة عليها ، والفيلسوف المثالى المعاصر يركز على كيف يفكر

الإنسان المعاصر تفكيرا نقديا حتى لا يقع ضحية للإعلام الزائف ، ولذلك فلا يكفى أن نعلم التلميذ كيف يفكر ؟ إنما الأهم هو أن يتعلم كيف يفكر تفكيرا نقديا .

(١٠) المعلم قدوة حسنة ومثل أعلى يقتدى به التلميذ ، ولذا يجب أن يكون ممتازا سواء كان من الناحية العقلية أو الخلقية ، ودور المعلم فى الفلسفة المثالية دور كبير ، ولذا فهو يتمتع بمهارات إبتكارية فائقة حتى يتيح الفرصة للتلميذ لكى يكتشف ويحلل ويطبق معلوماته فى سلوكه ، فهو لا يرغم التلميذ على تقبل وجهة نظر محددة ، وإنما هو يساعده على أن ينمو عقليا وخلقيا ويكون لنفسه إطاره الخاص به ، وذلك من خلال طريقته فى التدريس التى تعتمد على تحصيل المعارف والحقائق بطريقة نقدية ، فالمعلم يعمل على تنمية أفق التلميذ، وتوسيع مداركه الفكرية النقدية ولهذا فإن طريقة المدرس المثالى تقوم على أساس المناقشة والحوار أو الإلقاء لتفتح المجال لعرض وجهات النظر المختلفة التى يعبر عنها التلاميذ ، وهكذا نجد أن المدرسة المثالية تعلى من شأن المعلم وتعلق عليه أهمية كبرى تفوق ما يتوقع منه فى ظل أية مدرسة فلسفية أخرى " [١] .

(١١) تناقش المثالية المعاصرة الطبيعية الإنسانية من خلال ماهيتها الروحية والعقلية باعتبار أن الروح أسمى من الجسم ، ولكن لا يعنى ذلك أن المثالية المعاصرة قد نظرت إلى الجسم نظرة إزدراء

---

[١] محمد منير مرسى " فلسفة التربية " ، مرجع سابق ، ص١٧٨.

وإحتقار، لا بل على العكس من ذلك أن كل واحد منا مؤلف من جسد خاضع لنفس القوانين التى تخضع لها سائر أجزاء المـــادة ، " ولكـــن هناك حركات أخرى يبدو أنها تأتى من داخل الإنسان ... فما هى علة هذه الحركات ؟ ... إنه يصفو على الجسم الذى أنضم إليه ويفوقه فى الزمان " (١) .

الإنسان مكون من نفس وجسم والنفس تفوق الجسم ، ولكن المثاليـــة المعاصرة تدعو إلى فلسفة الوحدة عند برنشفك ، " ولكنه يعترف بأن الروح وحدها هى الحقيقة الكبرى " (٢) .

وقد برهن برجسون Bergson على خلودها بعد الموت فقـــد قـــرر استقلال الفكر عن الدماغ (٣) ، فالمثالية تنظر إلى الإنسان على أنـــه كائن روحى يعرف حقيقة ذاته ، كما أكدت المثالية المعاصرة على أن الإنســـان كائن إجتماعى يعيش مع الآخرين ، ويتصل بهم عن طريق اللغـــة التى إستحدثها لتحقيق التواصل بين الأفـــراد ، كمـــا أكـــدت المثالية المعاصرة على أهمية حرية الإنسان وفى نفس الوقت محاربة النزعة الآلية ، ولذلك نجد أن برنشفـــك Brunschvicg وبرجســـون وغيرهما من المثاليين يعتبرون قيمة الحرية من أفضل القيم العليـــا . فالإنســـان حر وهو مسئول عن حريته ، لأن الحريـــة تســـتند علـــى الوعى العقلـــى .

---

(١) برجسون " الطاقة الروحية " ترجمة سامى الدروبى ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٣ ، ص٢٤ .

(٢) زكريا إبراهيم " دراسات فى الفلسفة المعاصرة " الجزء الأول،القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٦٨، ص ١٠١.

١٣١ مراد وهبة " المذهب فى فلسفة برجسون" مرجع سابق ، ص١٣٢.

(١٢) الوجود الحقيقى هو وجود الروح ، والروح تعنى عالم الفكر ، ماله وجود حقيقى هو الفكر والتصورات العقلية ، ولا يعنى ذلك أن المثالية المعاصرة تنكر الوجود الحسى ، بل الوجود الحسى وجود معترف به ، ولكن وراءه وأعلى منه هو وجود الفكر ، فنحن لا نعرف الوجود إلا من خلال الفكر ، فالفكر إذن هو الوجود الحقيقى " فالمعرفة تركب عالما – هو بالنسبة لنا – العالم نفسه ، وفيما وراء ذلك فليس ثمة شيء على الإطلاق كما يقول برنشفك " [١] ، لذلك أصبحت الميتافيزيقا عنده لا تدرس موضوع " الذات المتعالية " بل هناك فقط ميتافيزيقا تدرس نظرية المعرفة ، ومن هنا نجد أن الفلسفة لا تبحث فيما وراء الطبيعة ولكنها تتجه إلى المعرفة ، وبالتالى أصبحت الفلسفة عنده إدراك واع للمعرفة العلمية ، فهى لا تبحث فى الوجود ، ولكنها تقتصر على فهم ما يفترضه العلم ، وما يسمح لنا بإستنتاجه ، فالفلسفة أصبحت تبحث فيما يقدمه لنا العلم من معارف وأصبحت مهمة الفكر أن ينفذ إلى الفكر نفسه ، والعقل الإنسانى هو الوسيلة التى بها ننفذ إلى عالم الفكر ، ولما كانت المعرفة العلمية تتجه نحو الواقع وتتغير من حين لآخر ، بالتالى فالوجود فى نظر المعاصرين المثاليين ليس ثابتا بل هو متغير وفى حالة من التطور المستمر ، وقد عبر عن هذا التطور كل من برجسون Bergson فى كتابه (التطور الخلاق) ولالاند Lalande كذلك

---

[١] زكريا إبراهيم " دراسات فى الفلسفة المعاصرة " ، مرجع سابق ، ص٨٦.

وإن إختلافا فى تصورهما لطبيعة التطور كما سيتضح فيما بعد ، وكذلك كروتشه Corce وبرنشفك Burnschvicg يريانأن الوجود فى حالة من التغير والتطور المستمر ، وإنعكس ذلك على تصورهم للحقيقة فلم تعد ثابتة ولكنها فى تطور مستمر ، حقا إن المثالية المعاصرة تعترف بوجود العالم الروحى ، ولكن الروح لا تعنى إلا الفكر عند برنشفك وكروتشه ، وإن كان برجسون يرى أن الروح لها وجود حقيقي ، وأن الفلسفة تتجه إلى هذا العالم الروحى ، ولكن ليس من خلال العقل بل من خلال الحدس الذى له القدرة على النفاذ إلى عالم الروح ، ولذلك فالميتافيزيقا تعنى عنده إمكانية البحث فى الروح والخلود والخلق والله تعالى .

ولذلك يمكن القول أن المثالية المعاصرة قد إنقسمت فى نظرتها إلى الوجود إلى إتجاهين رئيسيين :

الأول : يرى أن الوجود هو وجود الفكر والتصورات العقلية من معارف وحقائق .

الثانى : يرى أن الوجود وجود الروح ووجود الله خالق الروح وهذا العالم يمكن البحث فيه بالحدس Intuition ويمثل الإتجاه الأول برنشفك وكروتشه ، ويمثل الإتجاه الثانى برجسون ولالاند وإتفق الفريقان على أن الوجود فى تطور مستمر وتغير دائم .

(١٣) ترى المثالية المعاصرة أن المعرفة تبدأ من العقل لا من الحواس عند كل من لالاند وكروتشه وبرنشفك وعند برجسون تبدأ من الحدس Intuition ولا يعنى ذلك أن برجسون ينكر المعرفة العقلية ، ولكنه يرى أن العقل يدور حول الأشياء ولا ينفذ إلى حقيقتها وهو يتجه إلى الأشياء المادية دون الحياة ، فهو يعجز عن إدراك الحياة ، والحدس هو الذى له القدرة على البحث فى هذه المسائل الروحية ، وعند عرض نظرية المعرفة والتربية سوف يتضح ذلك من خلال بيان أن برجسون لم يرفض العقل كوسيلة للمعرفة ولكنه كان يرى أن العقل يتجه إلى الأشياء المادية فقط ليعرفها ، والحدس هو الذى له القدرة على تناول الحياة الروحية، وعبر برجسون Bergson عن ذلك بقوله: " إن الفلاسفة يتفقون على التمييز بين طريقين للمعرفة تختلفان إختلافا عميقا فى معرفة شىء ما ، ومضمون الأول أن الإنسان يحوم حول هذا الشىء بينما مضمون الثانية أنه ينفذ إلى داخله " (١) . والأولى هى المعرفة العقلية والثانية الحدسية ، الأولى معرفة نسبية والثانية معرفة مطلقة ، تنفذ إلى باطن الحقيقة عن طريق الحدس ، وإذا كان برجسون يعتمد على الحدس فى المعرفة فإن الإتجاه الآخر يرى أن العقل وحده هو الذى يصل إلى المعرفة الحدسية ، وكلاهما يرى أن المعرفة الحسية ليست صادقة وأن المعرفة تبدأ من الإنسان لا من الواقع ، سواء بدأت من العقل أو من الحدس ، وبرجسون هنا يبرهن على وجود الله ، والروح وخلودها عن طريق الحدس " (٢) .

---

(١) برجسون " المدخل للميتافيزيقا " ترجمة محمد على أبو ريان . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١ ، ص٢٥٧ .

(٢) مراد وهبة " المذهب فى فلسفة برجسون " القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ ص ١٣٧ - ١٣٨.

أو كما ذهب أوغسطين Augus من قبل " أن الحدس يؤدى إلى المعرفة ، وحجته على ذلك أنه لدى الإنسان نور باطنى يستطيع أن يتصل بالله لو أننا طهرنا أنفسنا " (١) ، وكذلك ذهب برجسون إلى أننا إذا تغلغلنا فى أعماقنا عثرنا على الله ، المعرفة تتناول العالم الروحى عن طريق التأمل الذاتى ومنهج الاستبطان ، أو عن طريق الحدس كما يرى برجسون .

والحدس رؤية مباشرة للحقيقة والروح والحياة والمعرفة عند كروتشه إما أنها معرفة عقلية أو معرفة حدسية ، والمعرفة الحدسية عنده تعنى المعرفة الحسية الجزئية بينما المعرفة العقلية هى المعرفة الكلية المنطقية ، والمعرفة عند برنشفك تعنى المعرفة الفلسفية التى تتناول المعرفة العلمية بالنقد والتحليل ، وهى تكون لنا عالماً من الأفكار هو العالم الحقيقى ، ومن هنا فإن المعرفة فى الفلسفة المثالية المعاصرة لها شكلان :

الأول : أن المعرفة عقلية .

والثانى : أن المعرفة حدسية .

وموضوع العقل والحدس هو العالم الفكرى أو الروحى فى الفلسفة المثالية المعاصرة عند كل من برجسون ولالاند وكروتشه وبرتشفك أكبر ممثلى المثالية المعاصرة فى القرن العشرين .

---

(١) Ozman, Samuel " Philosophcal Foundations of Education" London , Merrill, Buhlishing , Co, 1978. P. 22.

خاتمة الفصل

إستهدف هذا الفصل دراسة ماهية الفلسفة المثالية وتطورها التاريخى وأهم سماتها ، وموقفها من الوجود والطبيعة الإنسانية والمعرفة ، وبعد العرض السابق يتضح أن المثالية فلسفة تذهب إلى أن الوجود الحقيقى هو الفكر والروح ، وأن المعرفة عقلية أو حدسية على خلاف بين المثاليين ، وقد أخذت المثالية أشكالا عديدة عبر التطور التاريخى، فعند أفلاطون Plato مثالية مفارقة ، ترى الوجود الحقيقى هو وجود المثل ، وهذه المثل لا تدرك إلا بالعقل ، وفى العصور الوسطى كانت تعنى أن الاشياء ما هى إلا أفكار أو نماذج فى العقل الإلهى خلق الله على غرارها الأشياء ، فهى أيضا مثالية روحية مفارقة ، وعند هيجل Hegel أخذت شكلا آخر حيث أن المطلق عنده ليس مفارقاً للطبيعة بل كامن فيها ، وشاعت المثالية المطلقة فى القرن التاسع عشر ، وقد وجهت الفلسفة المعاصرة العديد من الانتقادات إلى المثالية المطلقة حتى قال أحد الباحثين : إن الفكر المعاصر هو فى جوهره مجرد ثورة على هيجل ، إذن لم تسلم المثالية المطلقة من الحملات الشديدة حتى من المثاليين المعاصرين أنفسهم مثل كروتشه وغيره ، ولا يعنى ذلك أن المثالية المعاصرة منقطعة الصلة بالمثالية الحديثة عند كانط وهيجل ، ولكن المثالية المعاصرة فطنت إلى الانتقادات التى وجهت لها ، فعدلت وبدلت ، وإرتبطت بالواقع وإرتدت ثوبا جديدا ، وبذلك العرض يكون قد إتضح معنى المثالية وتطورها عبر التاريخ ، وأهم سماتها ، وفى الفصل التالى يكون الهدف منه بيان موقف المثالية المعاصرة من الطبيعة الإنسانية ، وإنعكاساتها التربوية عند برجسون ولالاند وبرنشفك وكروتشه .